جامعة الفيوم
كلية دار العلوم
قسم البلاغة والنقد الأدبي
والأدب المقارن

التصوير الفني في رسالة الغفران

رسالة ماجستير مقدمة
من الباحثة

إلهام عبد العزيز رضوان بدر
(المعيدة بالقسم)

تحت إشراف

أ. د/ محمد حسن عبد الله
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن
كلية دار العلوم- جامعة الفيوم
(مشرفًا)

د/ وليد سعيد الشيمي
مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن
كلية دار العلوم- جامعة الفيوم
(مشرفًا مشاركًا)

2010

الملخص

تناولت في هذه الدراسة رسالة الغفران لأبي العلاء المعري من خلال التصوير الفني وخصائصه، وبدأت الرحلة من التمهيد، الذي حاولت أن ألقي فيه الضوء سريعًا على أبي العلاء المعري، والجوانب التاريخية والاجتماعية والسياسية، التي أثرت بشكل معين، على بعض أفكاره في الغفران.

وحددت المقدمة الإطار العام للبحث، أما الفصل الأول فقد تناول آراء الدارسين المختلفة لرسالة الغفران من زاوية النوع، وظهر للدراسة كيف تباينت تلك القراءات النوعية للغفران، فلم تترك نوعًا قديمًا أو حديثًا إلا وقد أحالت الغفران إليه، وهذا التنوع يكشف بصورة جلية ثراء رسالة الغفران، وقدراتها على أن تثير – على الرغم من قدمها- الكثير من القضايا النقدية، التي تؤكد على علاقة الغفران -مهما كان نوعها لدي هؤلاء الدراسين – بالأنواع السردية.

وتكشف هذه الدراسات من جانب آخر، عن طرق التلقي واختلافاته، ومن هنا، قد يكون في وفرة هذه الدراسات، كاشفًا عن الحاجة العلمية لدراستها، واكتشاف الخلفيات المتنوعة لكل دارس للغفران، وهذا عمل قد يشجع على دراسة مستقلة قائمة بنفسها، فلم نتتبع كل الدراسات بقدر ما أردت ألقاء الضوء على اتجاهاتها.

ولقد وضح للدراسة بعد عرض الآراء حول نوع الغفران، أنها تمثل رائعة أدبية، أي أنها تمزج بمهارة بين أنواع متعددة، ففيها نجد التداخل بين النثر القصصي والرسالة التي تجري مجري الكتب المصنفة، وداخل البعد القصصي، نجد التداخل بين الشعر والسرد والحكاية الغريبة وسجع المقامات وغيرها من الأساليب، ولعل هذا التداخل هو منبع اختلافات الدراسات حولها، ومصدر عدم ثباتهم على رأي في نوعها.

ولقد ذهب بعض الدارسين إلى أن رسالة الغفران لا تقوم على الخيال، وحاول الفصل الثاني أن يؤكد على وجود مصدر مهم في التصوير الفني، ألا وهو التخييل القصصي، فمن خلال عناصر البناء القصصي والسردي، من مكان وزمان وشخصيات وغيرها، تكونت رحلة ابن القارح، تلك الرحلة الغريبة إلى عالم الآخرة، وهذه الرحلة التخييلية وإن كانت تستقي فكرتها من منابع مختلفة، فإنها على الرغم من ذلك، تظل رحلة خاصة بالأدب، فهي رحلة عجائبية تصور مصير الشعراء في الآخرة، ولا تقوم على تصوير العالم الآخر كله، ومن هنا، فهي رحلة فنية إبداعية، وليست رحلة دينية تحاكم في ظل أحكام الشرع والدين.

في الفصل الثالث خرجنا من دراسة وسائل تكوين الصورة في الغفران، بنتيجة مهمة، تتمثل في كون الغفران تعد عملاً متماسكًا، وفيه معالم الاتساق وإحكام الصنعة بين المشاهد، فمن خلال عدة وسائل استطاع المعري أن يلم شمل المتباعد من الأفكار والآراء والشخصيات، من خلال التداعي حينًا، والتجاور والتوازي والترابط أحيانًا أخرى.

أما دراسة الصورة البيانية، فقد أكدت على علاقة الصورة في الغفران بالمبالغة، حيث تقوم المبالغة بتضخيم الصور، مما يجعلها بعيدة عن المتعارف، لتحلق في آفاق التخييل البعيد، فللتشبيه دوره في عقد موازنات بين الصور، أما الاستعارة، فقد غابت عن القسم الأول لكونه يعتمد على التخييل، ومن هنا، وصلت البحث إلى القول بوجود علاقة عكسية بين القسمين الأول والثاني، من زاوية الاستعارة، فحيث يحضر التخييل تغيب الاستعارة، ومن هنا كثرت الاستعارات التشخيصية في القسم الثاني، في حين اعتمد القسم الأول على التخييل والبعد العجائبي.

وفي دراسة المفارقة داخل الغفران، وضح للدراسة، أنها تعد الأساس العميق الذي تعتمد عليه في بناء التخييل، بداية من رسالة الرد التخييلية القصصية المغايرة لرسالة ابن القارح النثرية، وحتى بناء الصور الداخلية التي تقوم برسم صورة البطل/ الضحية، أي ابن القارح، الذي جسده المعري، وكأنه جعل منه وسيلة تشخيصية لعرض تناقضات عصره في الأدب والسياسة وغيرها. وكان للسخرية دورها أيضًا في تكوين دلالة غير مباشرة لكلام المعري، فهو يقول شيئًا ويريد دلالة أخرى، تدل على التهكم والسخرية، بطريقة خفية وغير مباشرة.

وفي دراسة الجناس ظهرت قيام أسلوب المعري على قيمه، وطريقته في تكوين جمله في الغفران- بل في سائر مؤلفاته- كذلك ظهرت العلاقة التلازمية بين الجناس والسجع، على نحو معين، مما يؤدي أيضًا، إلى وجود علاقة قوية بين التقليب الصوتي عن طريق الجناس وبين معنى معين مقصود، وبذلك بعد الجناس والسجع عن كونه مجرد حلية للأسلوب المعري، بل له دور مهم في بناء الصورة والمعنى.